المادة:نص أدبي قديم

* الحكاية على لسان الحيوان.

2- الحكاية على لسان الحيوان (كليلة ودمنة).

لم يكن العرب الأوائل في نسج الكلام على ألسنة الحيوانات بل سبقهم إلى ذلك اليونانيون والرومانيون والهنود ، وعن الفُرسِ نقل ابن المقفع كتاب "كليلة ودمنة" الذي يرجع إلى الفيلسوف الهندي "بيدبا" الذي ألّف كتابا للملك "دبشليم" ليرشده إلى سُبل الحُكم الرّشيدة ، ويحذّره من حماقات الحاكم الظالم ، وهو النهج الذي نهجه من سبقه من الأدباء في التعبير عن أرائهم بحكايات مغلّفة في ثوب الحيوان ، اتقاء لشرّ الحكام وتفضيلا للوعظ غير المباشر ، والترفيه عن النفوس بالتخيّلات البعيدة ، والاشارات الذكية، فكتاب "كليلة ودمنة" كما سبق ذكره هو الوصفة السحرية التي استعملها عبد الله بن المقفع عندما أحسّ باستبداد الخليفة "المنصور" الذي أراد تثبيت أركان الدولة العباسية بالقوّة والبطش، وإراقة الدماء، فضاق الزمان بالناس، وغاب العقل ، وحلّ العنف ، فشعر ابن المقفع بما شعر به "بيدبا" قبله، فقام بترجمة الكتاب من الفارسية إلى العربية بطريقة مستساغة لأهل عصره، وهذا الكتاب لم تتوقف أهميته على ما يحتويه من حكمة ونظرة عقلية ثاقبة، بل يعتبر نقلة نوعية في الموروث القصصي العربي، حيث عمل على تنمية الذوق الفني والإحساس الجمالي ، بما فيه من سحر الكلمة و نقل الوقائع بصيغ شتّى . ومن هذا الكتاب نورد مَثلُ " العُلجوم والحيّة" في باب "الأسد والثور":

قال أبُو الخبِّ: زعموا أنّ عُلجوماً جاورته حيّةٌ، وكان إذا أفرخَ العلجومُ(1) ذهبتِ الحيّةُ إلى عُشّه فأكلت فراخَهُ، وكان العلجومُ قد وافَقَه مكانُهُ فلم يستطع تركَهُ ، وحَزن لما لقي من الحيّةِ، ففطنَ لذلك سرطانٌ دنا منه فسألَهُ: ما يُحزنُك؟ فأخبَرَه ما لقِيَ. فقال له السّرطانُ: أفلا أدُلُّك على أمرٍ تشتَفي(2) به من الحيّةِ؟. قال: ومَا ذلك؟ فأومَأ السّرطانُ إلى جُحرٍ قُبالتَه فقَالَ: أتَرى ذلكَ الجُحرَ؟ فإنَّ فيه ابنَ عِرسٍ وهُو عدوٌّ للحيّاتِ؟ فاجْمعْ سمَكاً كثيرًا ثُمّ ضعْ شيئاً منه عند جُحر الحيّة إلى جُحْر ابْنِ عِرسٍ، فإنّ ابنَ عِرسٍ(3) يَأكُلُ من السّمكِ الأوّلَ فالأوّلَ حتّى ينتهي إلى جُحر الحيّة فيقتُلُها. ففعلَ العلجومُ ذلك وانتهى ابْنُ عِرس إلى الحيّة فقتلَها. ثُمَّ جعل يرجعُ إلى ذلك المكانِ للعَادة يلتمسُ طعامًا ،حتّى وقعَ على عُشِّ العُلجومِ لقربِ جواره من جُحر الحيّةِ، فأكلَ العُلجومَ وفراخَهُ.

وإنّما ضربتُ لكَ هذا المثلَ لتعْلَمَ أنّ من لمْ يتثبّتْ في حيلته ويُدبِّرْها أوقعَتهُ في أشدِّ ممَّا يحتالُ لغيرهِ. قال الخَبُّ: قد سمعتُ هذا المثلَ فلا تهابَنَّهُ لأنَّهُ أيْسرُ أمراً ممَّا تظنُّ. فتابعَ الشّيخُ ابنَه وانطلقَ إلى الشجرة فدخل فيها، وغدا القاضيُ والخبُّ والمُغفَّلُ إلى الشجرة وسألها القاضيُ: هل عِندك من شهادةٍ؟ فأجابهُ الشّيخُ من جوفِ الشجرةِ أنْ نعمْ، المغَفَّلُ صاحبُ الدّنانيرِ. فاشتدَّ عجبُ القاضي واستنكَرَه وجعلَ ينظرُ ويتفطَّنُ هل طافَ بالشّجرةِ أحدٌ؟ وبصَرَ بذلك الجوفِ فنظر فيه فلم يرَ شيئاً، لأنَّ الرجلَ قد كان ارتفعَ عن المكان الذي تنالُهُ فيه العينُ. فأمَرَ القاضي بالحَطبِ فجُمِع، ودعَا النَّارَ فدَخّنَ في ذلك الجوفِ، وتصبّر أبو الخبِّ ساعةً، ثُمَّ نَزلَ به الجُهدُ فصَاحَ ونادَى واستغاثَ، فأمر القاضِي فَأُخرِجَ بَعد مَا أشْفَى (4)علَى الموتِ. فعُوقبَ الخبُّ ثُمَّ غُرِّمَ ،ثُمَّ انقلبَ بِأبيهِ على ظهرِه مَيْتاً ،وانطلقَ المُغفَّلُ بالدَّنانيرِ.

وإنّما ضربتُ لك هذا المثلَ لتعلمَ أنَّ صاحبَ المَكْرِ والخديعةِ رُبَّمَا كَان هُو المغبُونُ. وأنْتَ يَا دِمْنةُ جامعٌ للخبِّ والخديعةِ، والعجْزُ من ثمرَة مكْرِكَ هذا الذي ترى مع أنَّكَ لسْتَ بِناجٍ من العُقوبة، وكذلك تكونُ عاقبةُ أمْرِ منْ كانَ مثلَك، فإنّك ذو وجهين ولسانين، وإنَّما عُذوبَةُ مَاءِ الأنهارِ ما لم تنتهِ إلى البُحُورِ، وصلاحُ أهلِ البيتِ ما لمْ يُفسِد بينَهُمْ مُفسِدٌ ، وبقاءُ الإخَاءِ بيْنَ الإخوان ما لم يدخُل بينهم ذو لسانين، فإنَّ ذا اللّسانيْن ليس شيءٌ أشبَهَ منه بالحيَّةِ ، لأنّ الحيّةَ ذاتُ لسانين، ويجري من لسانك بينهُم كسمِّها. ولمْ أزلْ لذلك السمِّ من لسانك خائفاً مُشْفقاً أن يَعُرَّنِي(5) بشيء، كَارهاً لِقُربِك، ذاكِراً لموعِظة العقلاء في اجتنابِ مقاربة أهلِ الفجورِ وإن كانوا ذوي قرابة وصُحبة ومُواصلةٍ، فإنّ الفاجرَ من الأصحاب كالحيّة ،يُربِّيها صاحبُها ويمسحُها ثمَّ لا يكونُ لهُ منها إلّا اللّسعُ، وكان يقالُ: الزمْ ذا العقلِ والكرمِ واسْترسلْ إليه ،وإيَّاك وفراقَهُ، ولا بأسَ عليك أن تصحَبَهُ وإن كان غيرَ مَحمُودِ الخِلْقة، ولكن احتَرسْ من شيْنِ أخلاقِهِ وانتفعْ بكرمه وانفعهُ بعقلك، وفِرَّ الفرَارَ كُلَّهُ من اللئيم الأحمَقِ، وإنِّي بالفرَارِ منك والاجتنابِ لك لجديرٌ، وكيف يرجُو أحدٌ غيرَك وفاءً وكرماً وقد صنعتَ لملِكِكَ الذي أكرمَك وشرّفَك ما صنعْت؟ بل مثلُك في ذلك مثلُ التاجِرِ القائلِ: إنَّ أرضاً يأكُلُ جُرَذُها مائة مَنٍّ مِن حديدٍ لغيْرُ مُستنْكَرٍ فيها أنْ يَختطفَ بازيهَا الفيلَةَ:.

قال دمنة: وكيف كان ذلك؟ . – من كتاب "كليلة ودمنة" ، دار الهدى، ، 1998، ص 108.

شرح مفردات النص:

1-العُلجوم: ذكرُ البطِّ.

2-اشتَفَى من عدوّه: بلغَ ما يُذهبُ غيْظَهُ منْه.

3-ابن عِرسٍ: دُويبةٌ كالفأرة تفتكُ بالدّجاج ونحوها، الجمعُ بناتُ عِرسٍ "للذكر والانثى".

4-أشفَى:أشرف واقترَبَ منها.

5-يعُرَّني: يلَقّبُني بما يُشينُني.

الأسئلة:

1)- حدّد المقاصد العامة لكتاب "كليلة ودمنة" والمقاصد الخاصة للنص.

2)- تحّث عن العناصر القصصية المكوّنة لمتن النص والطريقة التي اعتمد عليها الراوي في نقلها.

3)- ابحث عن مفهوم القصة الإطار والقصة المضمّنة وحدّدهما في النص.

4)- هناك مؤشرات لغوية في النص تترجم علاقة السارد بالمتلقي، حدّد طبيعة هذه العلاقة.